المبحث السادس

أي الطاعات أفضل؟

أي الطاعات أفضل؟

اللهم لك الحمد على نعمة القيام في ليلة القدر، وعلى نعمة الاعتكاف في ليلة القدر، وأن فتحت مسامع قلوبنا لذكرك، اللهم تقبل منا صلاتنا وقيامنا ودعاءنا يا رب العالمين .

اللهم لك الحمد حمدًا طاهرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعدُ.

اللهم لك الحمد كله، ومنك العون كله، وإليك يرجع الأمر كله اللهم لك الحمد على نعمة الإيمان، ولك الحمد على نعمة الإسلام، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء:١١١].

أي: وقل أيها الرسول: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزَّه عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سبحانه وليٌّ مِن خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظِّمه تعظيمًا تامًّا بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له .

كنا قد تحدثنا عن أخلاق الأنصار، وكان من أهم صفاتهم النقاء، عندما تشعر بأنك مهموم وحزين؛ سبح؛ أي: أطِلْ في السجود، وعندما تشعر بأنك تريد مالاً فاستغفر، فقد قال النبي العظيم في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٧].

أي: واذكر قصة صاحب الحوت، وهو يونس بن مَتَّى عليه السلام، أرسله الله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا، فتوعَّدهم بالعذاب فلم ينيبوا، ولم يصبر عليهم كما أمره الله، وخرج مِن بينهم غاضبًا عليهم، ضائقًا صدره

بعصيانهم، وظن أن الله لن يضيِّق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس، والتقمه الحوت في البحر، فنادى ربه في ظلمات الليل والبحر، وبطن الحوت تائبًا معترفًا بظلمه; لتركه الصبر على قومه، قائلاً: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ولاحظ معي المعنى في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ﴾ لم يدعو فقط، ولكنه نادى؛ أي: يريد أن يكون الكون كله مستغفرًا معه، أي جمع بين الاستغفار والتسبيح فاستجبنا له.

فأبواب الخير لا يتفاضل بعضها على بعض، ولكن المسلم يحتاج في أوقات معينة للاستغفار، أو التسبيح، أو الباقيات الصالحات، فالباقيات الصالحات جاءت في موضعين في القرآن الكريم:

الأول كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

أي: الأموال والأولاد جَمال وقوة في هذه الدنيا الفانية، والأعمال الصالحة وبخاصة التسبيحُ، والتحميد، والتكبير، والتهليل أفضل أجرًا عند ربك من المال والبنين، وهذه الأعمال الصالحة أفضل ما يرجو الإنسان من الثواب عند ربه؛ فينال بها في الآخرة ما كان يأمُله في الدنيا .

والثاني في قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم:٧٦].

أي: ويزيد الله عباده الذين اهتدوا لدينه هدى على هداهم بما يتجدد لهم من الإيمان بفرائض الله، والعمل بها، والأعمالُ والباقيات الصالحات خير ثوابًا عند الله في الآخرة، وخير مرجعًا وعاقبة.

يا الله نحن الضعفاء فقونا، نحن المذنبين فتب علينا، نحن المقصرين فاجبر كسر أعمالنا وتقصيرنا وزلاتنا، فأنت رب العفو العظيم، وأنت رب العرش القدير.